

مِنْ أهدافِ القمَّةِ في القرآن



وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِهِ مِّنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِاللَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (الأنعام / 10).

(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَيُخَذَّرُونَكَ الْبَغِيُّ يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَئِنَّكَ لَظَّالِمِينَ بِلَايَاتٍ أَتَتْ يَجْجَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُذُوا * حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِنَا * وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأُمُورِ سَالِينَ * وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَايِكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّامًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَلَايَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (الأنعام / 33 - 35).

(وَكَذَّبُوا رُسُلَهُمْ عَلَىٰ ذِكْرِ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْعَامِينَ) (هود / 120).

(وَإِنْ يَكْذِبُواْ فَعَدْدٌ كَذِّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيفَ كَانَ نَكِيرِ) (الحج/ 42 - 44).

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان/ 31).

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَىكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَىكَ وَكَلَّمْنَا مُوسَى تَكَلِيمًا * رُّسُلًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء/ 163 - 165).

يستعرض القرآن الكريم في هذه الآيات أساليب الاستهزاء والإيذاء والتكذيب التي قُوبل بها الأنبياء السابقون من قِبَل شياطين الإنس والجن، فكانت مواقفهم تمثِّل الصَّبر والصَّمود، حتى جاءهم النَّصر من عند الله، لتوحي إلى النبيِّ أوَّلًا، بأنَّ عليه أن يكون امتدادًا لهذا التَّاريخ العظيم، وإلَّا فليحاول أن يبتغي نفعًا في الأرض أو سُلْماً في السَّماء، لأنَّ ذلك هو سنَّة الله في الحياة في رسالاته وفي رسله (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) (فاطر/ 43)، فلا رساليَّة إلاَّ بالجهاد، ولا جهاد إلاَّ بالصَّبر.

ولعلَّنا نخلص - من خلال هذا العرض - إلى النتيجة العمليَّة في الدراسات الدينيَّة التي يحتاج إليها الداعية في ثقافته الذاتِيَّة، وفيما يقدِّم للآخرين من عطاء ثقافي إسلاميَّ يستهدف ربط حركة الدين الحاضرة بالحركة الدينيَّة الممتدَّة في أعماق التاريخ، وهذا ما تجسَّد في قصص النبيِّين كتجربة للدَّعوة، وكمُنطلق للحركة، وكموقف للتنفيذ... وإجراء مقارنة واعية بين واقع الرسالات في تصوير القرآن لها بالصَّورة الدقيقة المشرَّفة، وبين ما أُضيف إليها من تزوير وتشويه وتزييف في التاريخ الموضوع الذي أُريد له أن يقدِّم إلينا الصورة المشوَّهة القائمة لحركة الرسالات ولشخصيَّة الرسل.

إنَّنا نوکِّد هذا الجانب الثقافيَّ من دراستنا الدينيَّة، لأنَّه يمثِّل أحد العناصر الحيَّة لبناء الشخصيَّة الثقافيَّة الدينيَّة، فيما تملكه من انطباعات، وفيما تحمله من تصوُّرات، وفيما

تؤمن به من تفاصيل العقيدة.

وقد يبدو للبعض من الذّاس، أنّ هذا الجانب القصصي لا يرتبط بنا بشكل مباشر، لأنّ علاقاتنا بالأنبياء السّابقين والإيمان بهم إنّما تقتصر على مستوى أخذ العلم والخبر بوجودهم وبرسالاتهم، من دون أن يكون لذلك أثر عمليّ في حياتنا العامّة والخاصّة، لأنّ علاقاتنا الرّساليّة بهم - حسب رأيهم - تبدأ بالنبيّ محمّد (ص) وبرسالته وشريعته وتنتهي به، فهي المنطلق الوحيد لنا من ناحية فكريّة، وهى المصدر الأساس من الناحية التشريعيّة.

ولكنّا نرفض هذه الفكرة، لأنّ القرآن الكريم قد أكّد وحدة الرسالات، كما أكّد وحدة الإيمان بالرسّـل، كما يشهد به قوله تعالى:

(قُولُواْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ
وَأِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا
أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ) (البقرة / 136).

وبهذا، فإنَّ المسلمين يتبنُّون كلَّ ما جاء به الأنبياء ممَّا حدَّثنا عنه القرآن الكريم والسنة الصحيحة، إلا ما ثبت نسخه لارتباطه بطروف موضوعية محدودة بزمان ومكان معينين، لأنَّ الإسلام يتبنَّى ذلك ويزيد عليه، انسجاماً مع كلمة النبي محمد (ص): «إنَّما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق».